

فقه الدعوة ومراعاة حال المدعوين



د. محمد بن فهد الحربي

عضو هيئة التدريس

بجامعة أم القرى

الملخص:

تكمن مشكلة بحث (فقه الدعوة ومراعاة حال المدعوين) في أمور، من أهمها إغفال كثير من المتصدرين للدعوة مراعاة حال المدعو، وجعل هذا الأمر هو حجر الزاوية أو المقياس الذي يتعامل الداعي من خلاله مع المدعو، فتارة يرغبه، وأخرى يرهبه، فلا يكون مسلك الداعي واحدًا مع كل أحد على كل حال؛ لذلك، فإن هدف هذا البحث، هو تسليط الضوء على هذه الناحية، وإبرازها من خلال واقع النبوة، صلى الله على صاحبها وسلم تسليماً حميداً مزيداً، وذلك بضرب الأمثلة ذات المواقف المتعددة والمتغيرة الأحوال، والتي يظهر من خلالها مراعاة حال المدعو، وأنه -إن صحَّ التعبير فهو ميزان الداعية الذي يتعامل من خلاله. هذا وفي ضوء ما تقدم، فقد قام البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء، والاستنتاج، من خلال ما تيسر جمعه من قبل للباحث مما ألفاه في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد رجا الباحث أن يغطي كل ما سبق من خلال الحديث عن التعريف بمصطلحات الدراسة، ثم بيان منزلة الدعوة ومكانتها في الإسلام وحكمها التكليفي، مع ما يلزم الداعي أن يكون عليه؛ خلوصاً إلى تغير حال المدعو وتعددده، بما يستنتج منه: أن الداعية لا بد أن يكون فطنًا ذكيًا، وأن يكون هو ابتداءً متشبعًا وعلى معرفة تامة بتغير حال المدعو، وأن ينزل كل موقف على ما يليق به من حيث الدعوة في الجملة.

الكلمات المفتاحية:

فقه - الدعوة - مراعاة - حال - المدعوين

الحمد لله قديم الإحسان، خالق الإنسان، واهب البيان، ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، وصلى الله على النبي الأبيض الأزهر الأنور، ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ [الفتح: ٢٩] وعن السادة الصحابة ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ^ط تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا^ط سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، اللهم لا بيان إلا ما وهبته، ولا علم إلا ما علمته، قديم الإحسان، واهب النعم، لك الحمد! أما بعد:

فلا شك أن الدعوة إلى الله منزلة عظيمة، ومرتبة شريفة، وهي مهمة الرسل التي بعثوا بها، وقد امتنَّ الله تعالى على هذه الأمة بأن شرع لها سلوك سبل الأنبياء والمرسلين، بأن جعلها خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولما كانت هذه الخيرية لا تتحقق إلا بضبط ما للداعي وما عليه، وبيان ما يلزم إتيانه من أمر الدعوة وما يترك.. فقد شرعت في إعداد بحثي هذا وجعلت عنوانه (فقه الدعوة ومراعاة حال المدعوين).

أهمية الموضوع:

لا شك أن الشيء تزداد نفاسته بحسب تعلقه بالأمور ذات الأهمية، وكذلك لا يشك أحد في أن مبحث فقها الدعوة ومراعاة حال المدعوين من الأمور المهمة بمكان؛ وحسبك بهذا

البحث أهمية، أن من جملة مباحثه تعرضه لتقسيم المدعويين ومراعاة أحوالهم، وهو الأمر الذي يخلط فيه كثير من الناس فيعاملون الناس بميزان واحد، ولا يخفى ما في هذا من خطأ. أسباب اختيار البحث:

تعددت أسباب اختيار بحث (فقه الدعوة ومراعاة حال المدعويين) وذلك لكثرة ما يتعلق به ويدور في فلكه، ونتاجاً لهذا، فإن من جملة أسباب اختيار البحث:

1/ بيان أحكام الدعوة من حيث الوجوب وغيره.

2/ كذلك بيان ما يتعلق به بحث الدعوة من تعدد أحوال المدعويين، ووجوب مراعاة ذلك.

3/ إرادة نفع نفسي وإكسابها من العلم شيئاً جديداً، ومن ثم نفع الآخرين.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة بحث (فقه الدعوة ومراعاة حال المدعويين) في تشعب أمره، وكثرة تساهل الناس بشأنه، بل ليس من المبالغة في شيء إن قيل: إن مسائل الدين كلها لها صلة وثيقة بموضوع البحث، فالمرء إما داعياً أو مدعواً، وأمر هذا شأنه لا ينبغي التساهل به، من هنا تظهر مشكلة البحث.

أهداف البحث:

يسعى الباحث من خلال البحث لتحقيق التالي

١ - بيان الحكم التكليفي للدعوة وتغير حال المدعويين.

٢ - بيان الصفات التي ينبغي أن يتحلّى بها الداعية.

٣ - النهي عن إنزال الناس منزلة واحدة، ومن ثم معاملتهم بحال

واحد.

منهج البحث العلمي ومنهجيته:

قام البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل والاستقراء، والاستنتاج، من خلال ما تيسر جمعه مما ألفاه الباحث في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هيكل البحث

هذا، وقد انتظمت لي الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، المقدمة وذكرت فيه أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث وأهدافه، وبينت فيها منهج البحث.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الفقه لغة واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحًا.

المطلب الثالث: تعريف المراعاة لغة واصطلاحًا.

المطلب الرابع: تعريف الحال لغة واصطلاحًا.

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله. منزلة الدعوة إلى الله تعالى وبيان حكمها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: منزلة الدعوة ومكانتها في الإسلام.

المطلب الثاني: بيان الحكم التكليفي للدعوة.

المطلب الثالث: من صفات الداعي.

المبحث الثالث: مراعاة مقتضى حال المدعو.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أن يكون المدعو منيباً متذكراً.

المطلب الثاني: أن يكون المدعو معرضاً غافلاً.

المطلب الثالث: أن يكون المدعو، معارضاً متكبراً.

الخاتمة، وفيها:

ثبت المصادر والمراجع.

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول: تعريف الفقه لغة واصطلاحاً

أولاً: الفقه لغة:

الفقه في اللغة هو الفهم، فيقال فقه فلان أي فهم، وأفقه فلاناً أي أفهمه، ويُقال فقه الشيخ المسألة أي عقلها وفهمها وعرف المراد منها ^(١)، وقد وصف الله سبحانه وتعالى تسبيح كل شيء له وبأننا لا نفهم هذا التسبيح بقوله: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ۚ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝﴾ الإسراء: 44؛ أي: لا نفهم هذا التسبيح ^(٢).

ثانياً: الفقه اصطلاحاً:

عرفه أبو حنيفة رحمه الله تعالى بأنه «معرفة النفس ما لها وما عليها» ^(٣). والمعرفة: (هي إدراك الجزئيات عن دليل). والمراد بها هنا سببها: وهو الملكة الحاصلة من تتبع القواعد مرة بعد أخرى ^(٤). وهذا تعريف عام يشمل أحكام الاعتقادات، كوجوب الإيمان ونحوه، والوجدانيات

(١) تهذيب اللغة للأزهري (5 / 263).

(٢) العدة في أصول الفقه (1 / 68)، نهاية الوصول في دراية الأصول (1 / 16).

(٣) مرآة الأصول (1 / 44)، التوضيح لمتن التنقيح (1 / 10).

(٤) فصول البدائع في أصول الشرائع (1 / 11).

أي الأخلاق والتصوف، والعمليات كالصلاة والصوم والبيع ونحوها، وهذا هو الفقه الأكبر. وعموم هذا التعريف كان ملائماً لعصر أبي حنيفة الذي لم يكن الفقه فيه قد استقل عن غيره من العلوم الشرعية، ثم استقل، فأصبح علم الكلام (التوحيد) يبحث في الاعتقادات، وعلم الأخلاق والتصوف كالزهد والصبر والرضا وحضور القلب في الصلاة ونحوها، يبحث في الوجدانيات. وأما الفقه المعروف حالياً فموضوعه أصبح مقصوراً على معرفة ما للنفس وما عليها من الأحكام العملية، وعندئذ زاد الحنفية في التعريف كلمة (عملاً) لتخرج الاعتقادات والوجدانيات^(١).

- وعرف الشافعي (رحمه الله) الفقه بالتعريف المشهور بعده عند العلماء بأنه: «العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية»^(٢).

والمقصود بالعلم هنا: هو الإدراك مطلقاً الذي يتناول اليقين والظن؛ لأن الأحكام العملية قد تثبت بدليل قطعي يقيني، كما تثبت غالباً بدليل ظني^(٣).

والأحكام: جمع حكم، وهو مطلوب الشارع الحكيم، أو هو خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاء أو تحيير أو وضعاً. والمراد بالخطاب عند الفقهاء: هو الأثر المترتب عليه، كإيجاب الصلاة، وتحريم القتل، وإباحة الأكل، واشتراط الوضوء للصلاة^(٤).

(١) شرح التلويح على التوضيح (١ / 16).

(٢) شرح جمع الجوامع للمحلي (١ / 32)، شرح العضد لمختصر ابن الحاجب (١ / 18).

(٣) غاية الوصول في شرح لب الأصول (١ / 12).

(٤) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب (١ / 482)، تيسير الوصول إلى منهاج الأصول (١ / 311).

واحترز بعبارة (العلم بالأحكام) عن العلم بالذوات والصفات والأفعال. و(الشرعية): المأخوذة من الشرع، فيحترز بها عن الأحكام الحسية مثل: الشمس المشرقة، والأحكام العقلية مثل: الواحد نصف الاثنين، والكل أعظم من الجزء، والأحكام اللغوية أو الوضعية، مثل: الفاعل مرفوع، أو نسبة أمر إلى آخر إيجاباً أو سلباً مثل زيد قائم، أو غير قائم^(١). و(العملية): المتعلقة بالعمل القلبي كالنية، أو غير القلبي مما يمارسه الإنسان مثل القراءة والصلاة ونحوها من عمل الجوارح الباطنة والظاهرة. والمراد أن أكثرها عملي، إذ منها ماهو نظري، مثل اختلاف الدين مانع من الإرث. واحترز بها عن الأحكام العلمية والاعتقادية، كأصول الفقه، وأصول الدين كالعلم بكون الإله واحداً سميعاً بصيراً^(٢).

المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً

أولاً: الدعوة لغة:

تأتي الدعوة بمعنى الدعاء، يقال: دعاه بمعنى ناداه، ودعا من الدَّعوة إلى الطَّعام، بمعنى أنه قدَّم له النَّداء ليأتي لتناول وليمة أو ما شابه^(٣). وهذا اللفظ مأخوذ من مادة (دعا) التي تدلُّ على إمالة الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، يقال: دعوت فلاناً أي: صحت به واستدعيته، ودعوت الله له وعليه دعاء، وتكون

(١) تيسير الوصول إلى منهاج الأصول (5 / 158).

(٢) تحفة المسؤول في شرح مختصر منتهى السؤل (2 / 6).

(٣) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (4 / 2095).

الدعوة أيضاً المرة الواحدة من الدعاء^(١).

والدعوة إلى الطعام بالفتح يقال: كنا في دعوة فلان ومدعاة فلان وهو مصدر والمراد بهما: الدعاء إلى الطعام^(٢).

والدعوة بالكسر في النسب والدعوى أيضاً هذا أكثر كلام العرب وعدي الرباب يفتحون الدال في النسب ويكسرونها في الطعام^(٣).

ثانياً: الدعوة اصطلاحاً:

عرفها العلماء تعريفات كثيرة، فمن أشهر تعريفاتها:

١. الدعوة إلى الله، هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله،

بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا^(٤).

٢. وعرفها بعض العلماء بأنها: هي جمع الناس إلى الخير، ودلالتهم على

الرشد، بأمرهم

بالمعروف ونهيهم عن المنكر^(٥).

وقد وردت الدعوة في لسان الشرع والاصطلاح على عدة معاني نذكر منها:

● الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ 2337)، إسفار الفصيح (٢/ 673).

(٢) مختار الصحاح (١/ 105)، تاج العروس (38/ 49).

(٣) المحيط في اللغة (٢/ 125)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٦/ 2336).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٥/ 175).

(٥) أسس الدعوة وآداب الدعاء، للدكتور السيد محمد الوكيل (ص: 9).

أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه^(١).

• العلم الذي به تعرف كافة المحاولات الفنية الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق^(٢).

• جمع الناس إلى الخير، ودلالتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا^ج وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا^ط كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿آل عمران: 103﴾.

ومن خلال ما سبق من تعاريف ومدلولات، نستخلص أن الدعوة إلى الله هي: قيام الداعية المؤهل بمؤهلات علمية وأدبية، وبالصفات والاستعدادات القلبية، وبالكفاءة وهي مجموعة المعارف والقدرات والمهارات والصفات العامة، والشهادات الدراسية، والتدريبات التي حصل عليها الفرد للعمل على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة — أمة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (5 / 157).

(٢) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها وأساليبها في القرآن الكريم، لأحمد أحمد غلوش (ص: 10).

الدعوة وأمة الاستجابة - وفق الأسس السليمة والمنهج الصحيح، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين ويلائم أحوال وظروف المخاطبين.

المطلب الثالث تعريف المراعاة لغة واصطلاحاً

المراعاة لغة:

المراعاة: مصدر رَاعَى، وهي الإِعْتِبَار، أي الإِحْتِرَامُ الْمُزَوَّجُ بِالِإِعْتِبَارِ، ويقال: راعاه مراعاة بمعنى لاحظته، وراعى الأمر نظر الأمر إلى أين يصير، والراعي الوالي، والرعية العامة يقال: ليس المرعي كالراعي^(١).

ومراعاةً لخطره؛ بمعنى: اعتباراً لرضاه، ويقال: مع مراعاة كذا: مع العمل بمقتضاه^(٢). والراعي معناه اعتبار الشيء كما تقول راعى فلان فلانا معناه اعتبره وقام له بما يناسبه فالإعمال كأنه مسبب عن الرعي^(٣).

وراعى النجوم، مراعاة: راقبها وتأمل فيها وانتظر مغيبها، وراعى الأمر مراعاة: راقبته ونظرت إلام يصير، وماذا منه يكون^(٤).

المراعاة اصطلاحاً:

مُراعاةُ النَّظِير (عند أهل البديع): أَنْ يُجْمَعَ بَيْنَ الشَّيْءِ وَمَا يُنَاسِبُهُ، بغير تضاد، كالسُّوق والبيع والدَّلَال^(٥).

وعرف البعض مصطلح مراعاة النظير: بأنهم جمع كلمات أو عبارات متناسبة، بحيث

(١) مختار الصحاح (ص: 125)، معجم الرائد اللغوي (1/ 1038).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (2/ 910).

(٣) شرح حدود ابن عرفة (ص: 178).

(٤) مقاييس اللغة (2/ 408)، تاج العروس (38/ 164).

(٥) المعجم الوسيط (1/ 356).

يُقَوَّى المعنى لكلٍّ منها بمعاني الكلمات أو العبارات الأخرى، أو الجمع بين الشَّيء وما يناسبه بغير تضاد، كالسوق والبيع والدَّلَال^(١).

المطلب الرابع: تعريف الحال لغة واصطلاحاً

أولاً: الحال لغة:

الحال هو تمام الشيء، يقال: حُلْتُ، أَحُولُ، حَيْلَوْلُهُ، ويقال: حَالُ الْحَوْلِ: مَضَى وَتَمَّ، ويقال: حَالُ الْعَهْدِ وَتَغَيَّرَتِ الْأَحْوَالُ: انْقَلَبَتْ، ويقال: حَالٌ إِلَى مَسْكَنِ آخَرَ: تَحَوَّلَ إِلَيْهِ، وكذلك: مَا أَحْوَلَهُ: مِنْ حَالٍ يَحُولُ مِنَ التَّغْيِيرِ^(٢).

ومن معانيه أيضاً التحول والانتقال، يقال: حال يحول حولاً: إِذَا تَحَرَّكَ وَانْتَقَلَ^(٣).
ومن معانيه أيضاً: الاحتيال، من حال يحول محالاً إِذَا احْتَالَ. ومنه: أَحُولُ مِنْ ذَنْبٍ، أَي: أَشَدَّ حِيلَةً^(٤).

ويقال في الدعاء لله سبحانه: (وأنت نصيري بك أحول): من حال يحول بمعنى احتال والمراد كيد العدو أو من حال بمعنى تحول وقيل أَدْفَعُ وَأَمْنَعُ مِنْ حَالٍ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِذَا مَنَعَ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ^(٥).

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة (2 / 910).

(٢) اللامعة في شرح الملحة (1 / 519).

(٣) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (1 / 236).

(٤) تهذيب اللغة للأزهري (5 / 158).

(٥) شرح المصابيح لابن الملك (3 / 202)، الفائق في غريب الحديث للزمخشري (1 / 334).

ثانياً: الحال اصطلاحاً:

يختلف تعريف الحال حسب كل علم يُنسب إليه:

فعند الحكماء هو بمعنى الحاضر، وهو نهاية الماضي وبداية المستقبل، به ينفصل أحدهما عن الآخر، فهو فاصل بينهما بهذا الاعتبار وواصل باعتبار أنه حد مشترك بين الماضي والمستقبل، به يتصل أحدهما بالآخر^(١).

وفي اصطلاح علماء النحو: ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً، نحو: ضربت زيداً قائماً، أو معنى، نحو: زيد في الدار قائماً^(٢).

وفي اصطلاح أهل الحقائق: معنى يرد على القلب من غير تصنع، ولا اجتلاب ولا اجتلاب ولا اكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيبة ويزول بظهور صفات النفس، فإذا دام وصار ملكة يسمى مقاماً^(٣).

(١) المطالب العالية من العلم الإلهي (٥ / 70)، كشف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي (١ / 74).

(٢) شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب (2 / 7).

(٣) التعريفات للجرجاني (1 / 81).

المبحث الثاني

منزلة الدعوة إلى وبيان حكمها

المطلب الأول: الدعوة ومكانتها في الإسلام

الدعوة إلى الله تعالى لها شرف عظيم عند الله تعالى، وقد أولى القرآن والسنة النبوية هذا الأمر أهمية بالغة، ومن أهم ما ذكر في فضل الدعوة إلى الله تعالى ما يأتي:

أولاً: فضل الدعوة في القرآن الكريم

1/ أن الدعوة إلى الله تعالى أحسن كلمة تُقال في الأرض:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: 33].

2/ الدعوة إلى الله تعالى سبب بقاء الخيرية في هذه الأمة:

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران: 110].

3/ الدعوة إلى الله تعالى سبب للدخول في رحمة الله الواسعة:

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: 71].

4/ الدعوة إلى الله تعالى من أسباب النصر على الأعداء، والتمكين في الأرض:

قال الله تعالى ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتِنَتِ صَوَامِعُ وَبِعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 40 - 41].

5/ الدعوة إلى الله تعالى تدفع العذاب عن العباد:

قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: 78 - 79].

6/ الدعوة إلى الله تعالى مطلب مهم لمن أراد النجاة لنفسه:

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: 164].

7/ الدعوة إلى الله تعالى من أسباب نيل عظيم الأجور، وتكثير الحسنات:

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: 114].

8/ الدعوة إلى الله تعالى من أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران: 104].

9/ الدعوة إلى الله تعالى امتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: 125].

10/ الدعوة إلى الله هم الرابحون يوم يخسر الناس، وهم السعداء يوم يشقى الناس:

قال الله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: 1 - 3].

ثانياً: فضل الدعوة إلى الله تعالى من خلال ما جاء في السنة النبوية المطهرة:

الدعوة إلى الله تعالى سبب لصلاح حياة الناس، ودفع العقوبة عنهم، ومنع فساد الجاهلين:

1/ عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا ارَّادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشركة، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، (3 / 139)، (2493).

2/ الدعوة إلى الله تعالى سبب من أسباب استجابة الدعاء:

عَنْ حَدِيثِ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُوهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»^(١).

3/ الدعوة إلى الله تعالى من مكفّرات الذنوب والخطايا:

عَنْ حَدِيثِ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّوْمُ وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ»^(٢).

4/ الدعوة إلى الله تعالى خير من أنفس وأغلى الأموال:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ: «وَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدِيَ بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»^(٣).

فهذا فيه دليل على عدم احتقار المسلم لنفسه وهو يقوم بعملية الدعوة سواء بدعوة المسلم إلى أن يهتدي ويمشى على الطريق المستقيم أو بدعوة غير المسلم لكي يدخل بهذا الإسلام، فإن اهتدى على يديك رجل من المسلمين وترك طريق الغواية إلى طريق الحق فهذه

(١) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (38 / 4)، (2169)، وأحمد في المسند (38 / 332)، (23301)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة كفارة، (1 / 111)، (525)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، وأنه يأرز بين المسجدين، (1 / 128)، (144).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل، (4 / 60)، (3009)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، (4 / 1872)، (2406).

نعمة كبيرة، وكذلك لئن اهتدى رجل كافر ودخل في الإسلام فهذا فضل عظيم بشر به الرسول صلى الله عليه وسلم من واقع هذا الحديث.

5/ الدعوة إلى الله تعالى تَكُفْلُ لأهلها أجر ما دعوا إليه من الطاعات:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»^(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُ فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»^(٢).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»^(٣).

6/ الدعوة إلى الله تعالى من النصيحة التي دعانا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى

ممارستها فيما بيننا:

(١) أخرجه مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، (4 / 2060)، (2674).

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب أبواب العلم، باب ما جاء الدال على الخير كفاعله، (4 / 338)، (2670)، من حديث أنس رضي الله عنه، وهو حديث صحيح، وأخرجه أحمد في المسند (38 / 132)، (23027)، من حديث بريدة رضي الله عنه، وأصله في مسلم (3 / 1506)، (1893)، بلفظ مقارب من حديث أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، (1 / 69)، (49).

عن تميم الداري أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

وعن جرير بن عبد الله، قال: «بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم»^(٢).

٧/ ويكفي الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى فخراً وعزاً وتاجاً على رؤوسهم أنهم يحملون ميراث النبوة، عن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَطْلُبُ فِيهِ عِلْماً سَلَكَ اللَّهُ عِزّاً وَجَلَّ بِهِ طَرِيقاً مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنَحَتَهَا رِضاً لَطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالَمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالْحَيَاتَانِ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالَمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلَا دِرْهماً، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٣).

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١ / 74)، (55).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: الدين النصيحة، (١ / 21)، (57)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، (١ / 75)، (56).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم، (5 / 485)، (3641)، والترمذي، كتاب أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، (4 / 345)، (2682)، وابن ماجه، كتاب أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، (١ / 151)، (223)، وصححه الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١ / 160).

المطلب الثاني

بيان الحكم التكليفي للدعوة

الدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم ومسلمة، كل حسب قدرته وعلمه، والدعوة إلى الله مسؤولية الأمة.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

قال الواحدي: «﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ قل يا محمد للمشركين: هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها سبيلي، سنتي ومنهاجي وديني ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا﴾ على دين ويقين، والبصيرة المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل. ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ قال الفراء: ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وهذا قول الكلبي قال: حق على من اتبعه أن يدعو إلى ما دعا إليه، ويذكر بالقرآن والموعظة، وينهى عن معاصي الله^(١).

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة كل حسب وسعه، ويشمل الوسع العلمي والمالي والبدني، والقدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

(١) التفسير الوسيط، للواحدي (2 / 637).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: 67].
وقال عز وجل: ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [القصص: 87].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام يوم النحر في حجة الوداع مخاطباً جميع مَنْ آمَنَ به من أصحابه عرباً وعجماً.. رجالاً ونساء.. أبيضهم وأسودهم.. غنيهم وفقيرهم.. ساداتهم ومماليكهم: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ عَسَى أَنْ يُبَلِّغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ»^(٢).
وهذه الألفاظ: (بلغ)، (ادع)، (بلغوا)، أوامر صريحة وإطلاقات شاملة، والأصل في الأمر الوجوب، وفي الإطلاق الشمول، فهي توجب الدعوة على كل مسلم ومسلمة، كُلٌّ في حدود وسعه.

(١) أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، (4 / 170)، (3461).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع، (1 / 24)، (67)، ومسلم، كتاب القسامة والمحاربن والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، (3 / 1306)، (1679).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والدعوة إلى الله واجبة على من اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أمته وقد وصفهم الله بذلك؛ كقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧) فهذه في حقه صلى الله عليه وسلم وفي حقهم قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ الآية وقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ الآية. وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة: وهو فرض كفاية يسقط عن البعض البعض كقوله: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ الآية فجميع الأمة تقوم مقامه في الدعوة^(١).

وقال رحمه الله أيضاً: «وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقدّم به غيره فما قام به غيره سقط عنه وما عجز لم يطالب به. وأما ما لم يقدّم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به؛ ولهذا يجب على هذا أن يقوم بما لا يجب على هذا وقد تسقط الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة وبحسب غيره أخرى؛ فقد يدعو هذا إلى اعتقاد الواجب وهذا إلى عمل ظاهر واجب وهذا إلى عمل باطن واجب؛ فتنوع الدعوة يكون في الوجوب تارة وفي الوقوع أخرى. وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم؛ لكنها فرض

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٠ / ٨).

على الكفاية وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه إذا لم يقيم به غيره^(١).

المطلب الثالث: من صفات الداعية إلى الله

ينبغي أن يتحلى الداعية إلى الله تعالى بصفات كثيرة تؤهله إلى الدعوة وتعينه عليها، وهذه الصفات لا حصر لها، ومن أهم هذه الصفات:

أولاً: الإخلاص:

الإخلاص في اللغة: ترك شرك الرياء في كل طاعة، وأصل الإخلاص: التنقية للشيء وتخليصه من كل شائبة^(٢).

وفي الاصطلاح: تخليص القلب عن شائبة الشوب المكدر لصفائه، وتحقيقه: أن لا تطلب على عملك شاهداً غير الله ولا مجازياً سواه^(٣).

فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن تكون أعماله كلها خالصة لوجه الله لا يريد بذلك من الناس جزاءً ولا شكوراً، ولا ابتغاء الجاه عندهم، ولا طلب المحمدة والمنزلة في قلوبهم ولا هرباً من ذمهم^(٤).

ثانياً: الرفق:

الرفق: هو لين الجانب للخلق، ويكون بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو خلاف

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (15 / 166).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (2 / 208).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (2 / 92).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم (1 / 104).

العنف^(١).

فينبغي أن يتحلى الداعية إلى الله بصفة الرفق، وهو أن يكون هيناً ليناً بقوله وفعله ومُيسراً على الناس بما لا يخالف الشرع.

وقد أمر الله تعالى بالرفق فقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة: 83].

قال أبو العالية: «قولوا للناس القول الطيب الجميل وجازوهم بأفضل ما تحبون أن يجازوكم به»^(٢).

وكذلك وصى رسول الله تعالى بالرفق، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله رفيق يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَيْهِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»^(٤).

ومما يدل على أهمية الرفق في حياة الدعاة؛ أن الرفق سبب في استمالة القلوب وقربها له،

(١) أساس البلاغة للزمخشري (ص: 171)، فتح الباري لابن حجر (10 / 551).

(٢) تفسير القرطبي (2 / 13).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، (4 / 2004)، (2594).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في الرِّفْقِ، (7 / 185)، (4807)، وأحد في المسند (27 / 360)، (16805)، وهو حديث صحيح ويشهد له حديث عائشة عند مسلم (2593) وحديث أنس بن مالك عند البزار (1961) و (1962)، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجه (3688)، والبزار (1964) بسند حسن.

وأما عدمه فإنه سبب في نفورها وانصرافها والنفوس جبلت على حب من أحسن لها ورفق بها، وعلى نفور من يقسوا عليها، قال تعالى ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ ^ط وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا ^ط الْقَلْبِ لَا تَفْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ^ط فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ^ط إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ^ط﴾ [آل عمران: 159].

ثالثاً: حرص الداعية على هداية الناس:

ينبغي للداعية أن يكون شديد الحرص على هداية الناس، وله في رسول الله أسوة حسنة، فقد بين الله سبحانه في كتابه العزيز حرص نبيه صلى الله عليه وسلم على هداية الناس، وقد وصل الأمر به أن أتعب نفسه صلى الله عليه وسلم تعباً شديداً كان أن يهلكه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَبَخَعَ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ^ط﴾ [الكهف: 6]. ومعنى باخع نفسك؛ أي: مهلك نفسك غيظاً وحزناً منك لحرصك على إيمانهم^(١).

ومما يدل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على هداية الناس: أن الدعوة إلى الله كانت هي عمله وفكره فأينما ذهب فهي معه، وهكذا دعاة النبي صلى الله عليه وسلم، أصبحت الدعوة شغلهم الشاغل وهمهم الدائم، فهذا أبو موسى رضي الله عنه كان يعلم الناس حتى أقرأ أهل البصرة وفقههم في الدين، ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأنس رضي الله عنه: كيف تركت الأشعري؟ قال أنس: تركته يعلم الناس القرآن، فقال: أما إنه كيس ولا تسمعها إياه، وقال ابن شوذب: كان أبو موسى الأشعري رضوان الله عليه إذا

(١) تفسير الجلالين (ص: 381).

دخل في صلي الصبح استقبل صفوف الناس واحداً واحداً يقرئهم^(١).

رابعاً: العلم الصحيح:

لا يمكن نجاح الداعية الجاهل غير المتفقه بأمر الدين، إذ يجب طلب العلم الشرعيّ ليستطيع الداعية إيصاله للناس. كذلك يجب أن يكون الداعية على بصيرة بالأحكام الشرعية بحلالها وحرامها، وعلى بصيرة بالأشخاص الذين يدعوهم من خلال معرفة أحوالهم، وعلى معرفة أيضاً بالدعوة ووسائلها وأساليبها. إن لم يكن الداعية متبصراً بهذه الأركان الثلاثة فربما يُخفق في دعوته، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108].

قال ابن القيم: «إن الدعوة إلى الرب سبحانه تعتبر أشرف مقام من مقامات الإنسان وأفضلها وأجلها، فهي لا تستقيم إلا بالمعرفة والعلم الذي يدعو الإنسان به وإليه، ولا بد في الدعوة الكاملة من بلوغ درجة في العلم تصل إلى سعي الإنسان، وهذا يبين شرف المعرفة والعلم، فإن صاحب العلم يصل إلى هذا المقام، وذلك من فضل الله سبحانه^(٢)».

خامساً: التواضع:

صفة يجب أن يتصف بها الداعية قبل أن يدعو الناس إلى تطبيق دين الله تعالى، فالناس تنفر من المتكبر ولا تستجيب له، كذلك فإن الله تعالى لا يوفق الداعية الذي في قلبه كبر، ويكون قدوة الداعية في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد روى أبو هريرة عن النبي

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (32 / 209)، البداية والنهاية لابن كثير (4 / 105).

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (1 / 154).

صلى الله عليه وسلم قال: «لودعيتا ليدراعا وكرا علاً جبت، ولو أهديا ليدراعا وكرا علقبت»^(١).
إلى غير ذلك من الأخلاق والصفات التي ينبغي أن يتحلى بها الداعية إلى الله تعالى مثل
الصدق والشجاعة والكرم والمروءة والإيثار وكل أعمال البر، والله الموفق لكل خير.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب القليل من الهبة، (3 / 153)، (2568).

المبحث الثالث

مراعاة مقتضى حال المدعو:

لا يخرج حال المدعو إلى الله تعالى عن أحد ثلاثة أحوال، فهو إما أن يكون منيباً متذكراً، وإما أن يكون معرضاً غافلاً، وإما أن يكون معارضاً متكبراً، وقد استقيت هذا التقسيم من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

فقد اشتملت الآية على تقسيم بديع لبيان حال المدعويين فالحكمة وهي الحجة القطعية المزيحة للشبهة، وذلك بالنسبة لأولى النفوس قوية الاستعداد لإدراك معاني الطالبين للحقائق وهم الخواص. والموعظة الحسنة وهي الخطايبات المقنعة والعبر النافعة على وجه لا يخفى منه أنك تناصحهم وتتوخي الخير لهم، وذلك بالنسبة لذوي النفوس الكدرة ضعيفة الاستعداد، شديدة الإلف للمحسوسات، قوية التعلق بالرسوم والعادات، ولكن لا عناد عندهم وهم العوام. والمجادلة وهي أحسن طرق المناظرة من الرفق واللين واختيار الوجه الأسير، واستعمال المقدمات تسكيناً لشغبهم وإطفاءً للهيهم، كما فعل الخليل عليه السلام، وهذا بالنسبة للمعاندين المجادلين بالباطل ليدحضوا به الحق؛ لما غلب عليهم من تقليد الأسلاف، ورسخ في نفوسهم من العقائد الباطلة، فصاروا بحال لا تنفع فيه المواعظ والعبر، بل لابد من إلقامهم الحجر، لكن بأحسن طرق الجدال لتلين عريكتهم وتزول شكيمتهم.

المطلب الأول: أن يكون المدعو منيباً متذكراً

إن كان المدعو من النوع السريع الاستجابة، فهذا من فضل الله تعالى، وقد ذكر الله ذلك

النوع في كتابه فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:37].

ومعنى له قلب؛ أي: لَهُ قَلْبٌ سليم واعٍ يُدرك كُنْه ما يشاهده من الأمور، ويتفكر فيها، ليعلم أن مدار دمارهم هو الكفر، فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير، ومعنى ألقى السمع: أي: أصغى بقلبه إلى ما يتلى عليه من الوحي الناطق بما جرى عليهم، فإن مَنْ فعله يقف على كنه الأمر، فينزجر عما يؤدي إليه من الكفر والمعاصي، يقال: ألقى إليَّ سمعك، أي: استمع، ف «أو» لمنع الخلو، لا لمنع الجمع، فإن إلقاء السمع لا يجدي بدون سلامة القلب عما ذكر من الصفات، للإيذان بأن مَنْ عَرَى قلبه عنهما كَمَنْ لا قلب له أصلاً^(١).

وكان أعظم الدعاة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم يختار هذا الصنف من الناس ويعظه المواعظ العظيمة التي تنفعه في دينه وآخرته، ويعلمهم ويبشرهم من ذلك تعليمه صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل أبي بن كعب، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أبا المنذر، أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟» قال: قلت: الله لا إله إلا هو الحي القيوم. قال: فضرب في صدري، وقال: «والله ليهنك العلم أبا المنذر»^(٢).

فقد علمه الرسول وذكره بأعظم آية في القرآن، ثم بشره بكثرة العلم في نهاية الحديث، بل أقسم على ذلك فقال «والله ليهنك العلم أبا المنذر».

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (5 / 459).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي، (1 / 556)، (810).

فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في الاهتمام بمن كانت هذه حاله، ندعوا الله تعالى أن يجعلنا من أصحاب القلوب المتذكرة إنه ولي ذلك سبحانه.

المطلب الثاني: أن يكون المدعو مُعْرَضًا غافلاً

قد يكون المدعو غافلاً معرّضاً، وهذا يحتاج إلى الترغيب والترهيب والتعليم بلطف ورفق.

ومن ذلك الصنف ما جاء في الحديث عن أبي هريرة قال: ((بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي خير يا محمد، إن تقتلني تقتل ذا دم، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد، ثم قال له: «ما عندك يا ثمامة؟» قال: ما قلت لك: إن تنعم تنعم على شاكرك، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة» فانطلق إلى نجل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت، قال: لا، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا والله، لا يأتاكم من اليمامة حبة

حنطة، حتى يأذن فيها النبي صلى الله عليه وسلم»^(١).

فانظر إلى رفق رسولنا الكريم بهذا الرجل الكافر المعرض حتى استماله للإسلام.
ومن أمثلة هؤلاء المعرضين كثير من الأعراب غلاظ القلوب، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلين لهم القول، ويعلمهم بالرفق لتثبيتهم على الإسلام.
ومن ذلك ما جاء في الحديث عن أنس بن مالك قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه مه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزرموه دعوه» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر إنها هي لذكر الله عز وجل، والصلاة وقراءة القرآن» أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشبهه عليه»^(٢).

المطلب الثالث : أن يكون المدعو معارضاً متكبراً

وهم قوم معروفون بالتكبر ومعاداة الدعوة وهم أولو القوة والحشمة والثروة والترف والرياسة، وقادة الناس في الشريدل على ذلك قول ربنا -تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، (5 / 170)، (4372)، ومسلم، كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه، وجواز المن عليه، (3 / 1386)، (1764).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب يهريق الماء على البول، (1 / 54)، (221)، مسلم، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد، (1 / 236)، (285).

مَنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهاً إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ [سبأ: 34 - 35].

وفي السيرة النبوية الشيء الكثير عن موقف الملائكة من قريش وغيرهم من الدعوة إلى الله، التي بلغهم إياها الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما ذكره ابن هشام في سيرته من أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يخرج إلى القبائل ويدعوها إلى الله تعالى، وكان يمشي وراءه أبو لهب وهو من أشرف قريش ويقول للناس: ".. فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه" (١).

ومن هؤلاء أيضاً صنف آخر وهم علماء أهل الكتاب من اليهود والنصارى، من الأحرار والرهبان المتكبرين الذي يعارضون الدعوة بعد العلم. وطريقة دعوة هؤلاء هي المجادلة بالتي هي أحسن كما كان يعاملهم بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الحديث عن أنس، قال: ((سمع عبد الله بن سلام، بقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أرض يخترق، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشرار الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آتفا» قال: جبريل؟ قال: «نعم»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ [البقرة: ١٧].

[97]. «أما أول أشراف الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعته»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أي رجل عبد الله فيكم». قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام». فقالوا: أعاده الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب من كان عدوا لجبريل، (6 / 19)، (4480).

الختام:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على رسول الرحمة محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد هذا التطواف في أفياء هذا الموضوع الماتع يطيب للباحت أن يسجل النتائج والتوصيات الآتية:

أولا النتائج:

1 - ظهر من خلال البحث أن المدعويين أصناف ثلاثة:

-الصنف الأول: المنيب المتذكر.

-الصنف الثاني: المعرض الغافل.

-الصنف الثالث: المعارض المتكبر

2 - على الداعية الحكيم أن يستعمل المناهج الدعوية المناسبة لكل حال من أحوال المدعويين

3 - الأساليب والوسائل الدعوية تتنوع بتنوع أحوال المدعويين.

4 - ينبغي على الداعية ألا ينصب نفسه قاضيا في المجال الدعوي بل عليه أن

يستعمل التيسير والرفق والتدرج حتى تتحقق الثمرة المرجوة

ثانياً: التوصيات:

يوصي الباحث بالتالي:

- 1 - دراسة أحوال المدعوين من خلال قصص الأنبياء والصالحين في القرآن الكريم والسنة الشريفة.
- 2 - دراسة أحوال المدعوين من خلال تعامل الصحابة والتابعين معهم.
- 3 - دراسة أحوال المدعوين من خلال مناهج الدعاة المشهورين في التعامل معهم